

موقف المستشرقين من مكانة الحج في الإسلام - دراسة تحليلية -

ORIENTALISTS' POSITION ON THE STATUS OF HAJJ IN ISLAM AN ANALYTICAL STUDY

Mohammed bin Saeed Abdullah Al-Sarhani	محمد بن سعيد عبدالله السرحاني ⁽¹⁾
College of Da'wah and Fundamentals - Umm Al Qura University - Saudi	كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - السعودية
syrahany@hotmail.com	

تاريخ النشر:	تاريخ القبول:	تاريخ الارسال:
2021/06/30	2021/05/07	2020/12/09

الملخص:

أولى المستشرقون الحج في الإسلام اهتماماً خاصاً فقد أبدى عدد منهم إعجابه بصورة وحدة المسلمين أثناء تأدية هذه العبادة وتجاوز الأمر ببعضهم إلى رحلتهم إلى مكة لحضور مناسك الحج وكتابة مشاهداتهم عنها ولم يسلم الكثير منهم من الزعم بأن هذه العبادة ذات أصول وثنية، وأن الحج إلى مكة جاء بعد فقدان النبي صلى الله عليه وسلم الأمل في استمالة اليهود كما زعموا وجاء هذا البحث في عدد من المحاور عرضت فيه موقف المستشرقين من مكانة الحج في الإسلام مع نقد لتلك الشبهات والدعاوى التي سطرها المستشرقون مبيناً ما تميز به الحج في الشريعة الإسلامية عن الحج لدى العرب في الجاهلية وأن ما كان لدى العرب في الجاهلية من تلك المناسك إنما هو امتداد لدعوة إبراهيم عليه السلام قبل أن ينالها التحريف والحيدة عن التوحيد إلى عدد من المظاهر الشركية في حجهم، واشتمل البحث على المحاور الآتية: رحلات المستشرقين إلى مكة، تصور المستشرقين لأصل مشروعية الحج،

(1) المؤلف المُرسَل: محمد بن سعيد عبدالله السرحاني - الإيميل: syrahany@hotmail.com

موقف الإسلام مما أحدثه الجاهليون في مناسك الحج والعمرة، موقف يهود الجزيرة من دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم، موقف المستشرقين من الطواف بالبيت الحرام.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، الحج، المستشرقون، الجاهلية، اليهود.

Abstract:

The orientalists of Hajj in Islam gave special attention to Islam, as a number of them expressed their admiration for the image of the Muslims's unity during the performance of this worship, and bypassing some of them to their journey to Mecca to attend the rituals of Hajj and writing their observations about them, and many of them were not spared from the claim that this worship has pagan origins, or that the pilgrimage to Mecca It came after the loss of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, hope to win over the Jews as they claimed, and this research came in a number of axes in which I presented the position of the Orientalists regarding the status of the pilgrimage in Islam with a critique of those suspicions and claims that the Orientalists made, indicating the distinction made by the pilgrimage in Islamic law from the pilgrimage to Arabs in Jahiliyya and that what the Arabs in the Jahiliyyah had from those rites is an extension of the call of Abraham, peace be upon him, before distortion and impartiality of monotheism attained them to a number of polytheistic manifestations in their pilgrimage, and the research included the following axes: orientalist trips to Mecca, the orientalists' perception of the origin of the legality of the pilgrimage, a position Islam, which was caused by the ignorant people in the rituals of Hajj and Umrah, the position of the Jews of the island from the call of the Prophet - may God bless him and grant him peace, the attitude of orientalists from circumambulation in the Sacred House.

Key Words: Islam, Hajj, Orientalists, Pre-Islamic, Jews.

المقدمة:

نالت شعيرة الحج اهتمام طائفة من المستشرقين وأبدى عدد منهم إعجابه بهذه الشعيرة لما تمثله من تقوية لروابط المسلمين ووحدة صفوفهم، وقاد ذلك الاهتمام عدداً منهم إلى زيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة مدعين اعتناقهم للإسلام وهذا مظهر في رحلات المستشرقين إلى الحج، إذ نتج عن رحلاتهم تلك عدداً من المؤلفات تصف الحج والحجاج، ومع ما حوت تلك الكتب من إعجاب عدد منهم بمشاعر الحج إلا إنها لم تخل من الطعون والشبهات ووصف هذه العبادة بالأصل الوثني مقارنة بما كان يفعله العرب في حجهم قبل الإسلام متجاهلين أصل هذه الشعيرة الذي يمتد إلى دعوة إبراهيم -عليه السلام- فالعرب في الجاهلية كانت على ملة إبراهيم -عليه السلام- القائمة على توحيد الله تعالى، وتعظيم الأشهر الحرم، وحج بيت الله الحرام؛ ثم تحول بهم الحال إلى أن انحرفوا عن التوحيد إلى الوثنية،

وما غيروا في مناسك الحج وحرفوا، فجاء الإسلام ليبطل ما حرفوه ويعيده على ملة إبراهيم عليه السلام-.

وقد ورد في البحث تفصيل لموقف الإسلام مما أحدثه الجاهليون في مناسك الحج والعمرة، وتفنيد لمزاعمهم بأن الحج فرض عندما فقد النبي صلى الله عليه وسلم الفرصة في استمالة اليهود كما زعموا مع بيان موقف اليهود من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ظهر اعتماد المستشرقين فيما كتبوه عن مكانة الحج في الإسلام على مراجع غير أصيلة من كتب الرحالة المستشرقين .

وقد جاء هذا البحث مبيناً للتصور الاستشراقي لمكانة الحج في الإسلام ومفنداً لشبهاتهم حول هذه الشعيرة وذلك في المطالب الآتية: رحلات المستشرقين إلى مكة، وتصور المستشرقين لأصل مشروعية الحج، وموقف الإسلام مما أحدثه الجاهليون في مناسك الحج والعمرة، وموقف يهود الجزيرة من دعوة النبي-صلى الله عليه وسلم، وموقف المستشرقين من الطواف بالبيت الحرام .

مشكلة الدراسة وأسئلة البحث:

- ما موقف المستشرقين من مكانة الحج في الإسلام؟
- ما موقف الرحالة المستشرقين من بيت الله الحرام؟
- ما موقف الإسلام مما أحدثه العرب في الجاهلية في مناسك الحج ؟
- هل كانت شعائر الحج امتداداً لعبادات العرب كما يزعم المستشرقون ؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الإجابة عن التساؤلات السابقة وبيان منزلة ومكانة الحج وفضائله في الشريعة الإسلامية، مع الرد على شبهات المستشرقين المشككين في محاسن ومكانة الحج في الإسلام.

منهج البحث:

اعتمدت المنهج التحليلي لتحليل مواقف المستشرقين والمنهج النقدي لنقد شبهاتهم.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة مشابهة لهذه الدراسة.

المطلب الأول: رحلات المستشرقين إلى مكة

إن من مظاهر اهتمام المستشرقين بشعيرة الحج في الإسلام ما خُصت به المشاعر المقدسة من رحلات استشرافية، وما أُلِف نتيجة لهذه الرحلات من كتب تصف الحج في الإسلام، وتحذر من وحدة المسلمين، داعية إلى التصدي لتلك الوحدة، وإحياء البدع وتشجيعها، والظعن في أصل مشروعية الحج في الإسلام، بدعوى الأصل الوثني لهذا الركن من أركان الإسلام.

لقد تعددت رحلات الرحالة من المستشرقين إلى مكة المكرمة، وادعى عدد منهم الإسلام، وتسمّوا بأسماء المسلمين، وتزيوا بزيمهم، حتى يتمكنوا من زيارة المشاعر المقدسة في مكة المكرمة؛ وليطلعوا عن قرب على مكانة الحج في حياة المسلمين.

ومن أوائل هؤلاء المستشرقين، الرحالة والمستشرق الألماني "زيتسن"⁽¹⁾ ZEETZEN والذي تنكّر بهوية طبيب، وادّعى الإسلام وتسمّى بالحاج موسى، وشارك الحجاج المسلمين في أداء فريضة الحج عام 1809م⁽²⁾.

ومنهم المستشرق السويسري الأصل "بوركهاردت"⁽³⁾ BURCKHARDT، قضى بمكة ثلاثة أشهر، عام 1814م، وأدى مناسك الحج مع المسلمين، بعد أن تسمّى بإبراهيم عبد الله، وقد كان يعمل لحساب الجمعية الإفريقية البريطانية للاكتشافات الجغرافية، وكتب وصفاً دقيقاً للجزيرة العربية ومشاعر الحج؛ إلا أن ذلك الوصف لم يخل من الظعن والغمز في التشريع الإسلامي، إذ اتخذ من أخطاء عامة المسلمين مقياساً على الإسلام⁽⁴⁾.

ويشكك مترجما كتاب "بوركهاردت" (رحلات في شبه جزيرة العرب) في إسلامه؛ فمما قالوا: أنه كان ((شديد النقد لسلوك المسلمين، ويُبدي عواطف باردة تجاه المقدسات الإسلامية؛ فمشاعره نحوها أقرب إلى مشاعر الباحث والآثري منها إلى مشاعر المؤمن المتعبد))⁽⁵⁾.

وسواء كان صادقاً في إعلان إسلامه أم كان يحتال لدخول بيت الله الحرام، فإن مما لا شك فيه أنه زار بيت الله الحرام لتحقيق مطامع وأهداف الجمعية الإفريقية البريطانية الاستعمارية والتنصيرية؛ وأخذت كتاباته الوصفية لبلاد العرب والمشاعر المقدسة مرجعاً

للطعن في الإسلام، إذ أبدى اهتماماً كبيراً بأخطاء عامة الناس من المسلمين، وركز على الغرائب، وما شذ من السلوكيات أكثر من تركيزه على محاسن الحج في الإسلام.

ومن الرحالة الأوروبيين الذين زاروا مكة المكرمة، وحرصوا على مشاهدة مشاعر الحج المستشرق والرحالة الإسباني "دومينغو باديا"⁽⁶⁾ DOMINGO BADIA، والذي زار مكة عام 1807م تحت اسم مستعار، إذ تسمى علي بك، وادعى أنه من سلالة العباسيين، وألف كتاباً يصف فيه جزيرة العرب، ومكة والمدينة، وشعائر الحج، غلب عليه انطباعاته الخاصة⁽⁷⁾.

ومن المستشرقين الرحالة الذين أبدوا اهتماماً كبيراً بزيارة مشاعر الحج في الإسلام المستشرق "السير ريتشارد برتون" (1821-1890م) BURTON, SIR RICHARD⁽⁸⁾، تنكّر في شخصية طبيب، وادعى الإسلام، وتسمّى باسم: الشيخ عبد الله، وشارك المسلمين في مشاعر الحج، نتج عن رحلته كتابه الموسوعي: قصة شخصية عن الحج إلى المدينة ومكة، وصف المسلمين فيه بأسوأ الأوصاف، وادعى فيه بأن المسلمين لا حضارة لهم⁽⁹⁾.

ومن أبرز من زار مكة المكرمة من الرحالة: المستشرق الهولندي "سنوك هرجرونيه"⁽¹⁰⁾ SNOK-HURGRONJE (1857-1936م)، إذ زار مكة مدعياً الإسلام، وتسمّى بعبد الغفار عام 1884م، ولبث فيها خمسة أشهر قبل أن يُطرد منها بعد أن انكشف أمره، ولم يتمكن من حضور موسم الحج؛ وكان من نتائج هذه الزيارة كتابه (الحج إلى مكة) رصد فيه انطباعاته عن الناس والحجاج وأهل مكة المكرمة، وانتهى في كتابه هذا إلى دعوى أن الحج من بقايا الوثنية؛ وأصبح بعد ذلك مرجعاً من مراجع المستشرقين⁽¹¹⁾. وهو في كتاباته من أشد الناس حقداً على الإسلام ونبى الإسلام، على رسولنا الصلاة والسلام.

لقد تركزت معظم رحلات المستشرقين في القرنين: التاسع عشر والعشرين، على زيارة المقدسات الإسلامية في مكة والمدينة، وظهر حرصهم الشديد على حضور موسم الحج، لإدراكهم مدى ما تؤدي إليه شعيرة الحج في الإسلام من توحيد صفوف المسلمين، وتقوية شوكتهم.

وقد أشار عدد من المستشرقين إلى هذه الحقيقة: ففي حديث المستشرق "فيليب حتي" عن الحج في الإسلام، يقول: ((ولقد ظلّ الحج على كر العصور أكبر عامل موحد في الإسلام، وأقوى رابطة بين مختلف طبقات المؤمنين، وهو الذي جعل من كل مسلم قادر رحالة ولو

مرة في عمره. واجتماعات كهذه لها تأثير اجتماعي فعّال بين جماعات المؤمنين الذين يأتون من أقطار المعمورة. فالحج أتاح للزنج والبربر والصينيين والفرس والسوريين والترك والعرب - الفقير منهم والغني والرفيع والوضيع- أن يجتمعوا ويتآخوا على أساس الإيمان المشترك. والحق أن الإسلام قد وفق أكثر من أديان العالم جميعاً في القضاء على فوارق الجنس واللون والقومية، وخاصة بين أبنائه. ولا شك في أن الاجتماع في موسم الحج له الفضل الأكبر في تحقيق هذه الغاية⁽¹²⁾.

فمع ما تضمنته كتابات العديد من المستشرقين من التشكيك في مشروعية الحج في الإسلام، إلا أنهم لم يستطيعوا إنكار هذا الجانب من محاسن الحج في الإسلام، وهذا ما صرح به المستشرق "مونتغمري وات"، بقوله: ((ويعمل هذا الحج بصورة مهمة على جعل المسلمين يدركون أنهم أمة واحدة تربطها أواصر أخوة متينة))⁽¹³⁾.

ويشير المستشرق "روم لاندو"⁽¹⁴⁾ إلى دور الحج في توحيد صفوف المسلمين، بقوله: ((ولقد كان الحج ولا يزال قوة موحدة في الإسلام، إذ يجتمع المسلمون في موسمه من بلدان متناثرة في أطراف الأرض، كالصين، وأندونيسيا، وأميركة اللاتينية، لأداء شعيرة دينية مشتركة))⁽¹⁵⁾.

وفي حديث المستشرق "هاملتون جب"⁽¹⁶⁾ حول العوامل التي تؤدي إلى وحدة المسلمين، يقول: ((ولكن أعظم فروض الإسلام تأثيراً في تغذية روح الوحدة الإسلامية هو الحج، ولا يمكن لمسلم أخذت روحه حظاً في تعظيم عبادة يشارك فيها عشرات الألوف من إخوانه المؤمنين من كل جنس وطائفة (ففي مكة تهادأ أشد العداوات الطائفية حدة وإن بدا تعصب أحياناً) أن ينسى تلك اللذة العليا التي ذاقها وما تميط عنه اللثام من قوة باطنة لدينه ومن انتشاره العظيم في الأفاق، وكل من رجع من الحج يشهد لدى جماعته بالوحدة العامة التي تترفع على القوميات الصغيرة، ويصير مركزاً تشع منه حماسة دينية لمثل الإسلام العليا التي تسمو على القومية))⁽¹⁷⁾.

هذه صورة من مكانة الحج في الإسلام عند عدد من المستشرقين والتي أدت إلى الاهتمام البالغ بهذه الشعيرة.

المطلب الثاني: تصور المستشرقين لأصل مشروعية الحج.

إن المكانة التي يتبوها الحج في الإسلام، والدور العظيم الذي تؤدي إليه هذه الشعيرة من تقوية روابط المسلمين ووحدة صفوفهم من العوامل البارزة التي دفعت العديد من المستشرقين إلى الطعن في أصل مشروعية الحج في الإسلام، وتشكيك المسلمين في المصدر الإلهي لمشروعيته.

وممن ادّعى الأصل الوثني لشعيرة الحج في الإسلام المستشرق "فنسنك" J. A. WENSINCK، إذ يقول: ((أما بعد دعوته، فقد كانت عنايته قليلة أول الأمر بالحج، فلم يرد ذكر الحج في السور القديمة، ولا يبدو من المصادر الأخرى أن النبي اتخذ خطة محددة حيال هذه العادة الوثنية الأصل))⁽¹⁸⁾. ولم يقتصر المستشرق "دوزي" في دعواه التي نقلها "ديمومين"⁽¹⁹⁾ على أن الوقوف بعرفة مماثل لما عند اليهود؛ بل تلمذ في دعواه بزعمه أن الحج كله في الإسلام من أصل يهودي؛ إذ يقول: ((يرد "دوزي" في كتابه كلاً من كلمة التشريق والتروية، بل والحج كله إلى أصل يهودي))⁽²⁰⁾

ويشكك "ونسنك" في أسباب مشروعية الحج، إذ يزعم قائلاً:

((وقد ثار اهتمام محمد بالحج أول مرة في المدينة، ويرجع اهتمامه إلى عدة أسباب بيّنها "سنوك هرجونيه" في كتابه MEKKAANSCH EEST فقد دعاه نجاحه الباهر في غزوة بدر إلى التفكير في فتح مكة، وطبيعي أن التجهيز لهذا الفتح يكون أكثر نجاحاً إذا أثار النبي اهتمام صحابته بالأمر الديني والدينيوية جميعاً، فقد خُذع النبي فيما كان يعقده من آمال على جماعة اليهود بالمدينة، وأدت خلافاته معهم إلى قيام شقاق ديني بينه وبينهم لم يكن عنه محيص، وإلى هذا الزمن يُرد أصل نظرية دين إبراهيم، النموذج الطبيعي المزعوم لكل من اليهودية والإسلام))⁽²¹⁾.

ويدعي المستشرق "مونتميري وات"⁽²²⁾ W.MONTGOMERY WATT أن مشروعية الحج والعمرة جاءت إرضاءً للقبائل العربية؛ فيقول: ((... ومع ذلك، فإنه بعمله هذا سيُظهر أيضاً لمشركي مكة أن الإسلام دين الجزيرة العربية ولا يُمَثِّل تهديداً لمقام مقدساتهم))⁽²³⁾.

المناقشة:

لقد تجاهل المستشرقون في موقفهم السالف نصوص الكتاب والسنة المبيّنة للأصل الإسلامي لمشروعية الحج في الإسلام، مع إنكارهم للأصل الحنيفي لمشروعية الحج في الإسلام، ومحاولة قطع صلة الإسلام بدعوة إبراهيم -عليه السلام-، والزعم أن الحج فرض عندما فَقَدَ النبي -ﷺ- الأمل في إسلام اليهود؛ فحاول بحنكته السياسية استرضاء العرب بتعظيم مقدساتهم. وهؤلاء المستشرقون، في موقفهم هذا، ينكرون موقف الإسلام من الوثنية بجميع أشكالها، وما أبطله الإسلام من أعمال الشرك التي أدخلها العرب في مناسك حجّهم، وما شرعه الإسلام من توحيد الله تعالى الذي ينافي الشرك في كل منسك من مناسك الحج. ومن تتبع مصادر المستشرقين فيما كتبوه عن الحج في الإسلام، تبين له، وبلا شك، فساد منهجهم؛ إذ كان اعتمادهم في معظم ما كتبوه على المراجع الاستشراقية، مع تجاهل المصادر الإسلامية في هذا الموضوع.

أولاً: أصل مشروعية الحجّ في الإسلام:

شرع الله الحجّ في الإسلام استجابةً لدعوة إبراهيم -عليه السلام-، فقد أمره الله بدعوة الناس إلى تعظيم بيت الله الحرام، وتأدية هذه الشعيرة العظيمة؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 26-27]

فلم يكن الحج في الإسلام من أصل وثني، على حدّ زعم المستشرق "ونسك"، وإنما هو امتداد لدعوة خليل الله إبراهيم -عليه السلام- وتأسيساً به؛ وكان الحج في الإسلام وعداً إلهياً بتلبية دعوة إبراهيم -عليه السلام-؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۚ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا ۚ مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ يَعْصِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٦٨ إِنِّي أَتُكِّتُ مِنْ دُرِّيِّ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 35-37]

واستجابةً لهذه الدعوة المباركة، لم ينقطع تقديس بيت الله الحرام، بل هو مستقرٌّ في نفوس الكثير من الناس. وبقيت آثار دعوة إبراهيم -عليه السلام- قائمة على ما شابهها من

انحراف عن التوحيد، حتى جاء الإسلام ليصحح مسار هذه الدعوة، ويقيمها على توحيد الله تعالى، وجاء الأمر الإلهي على لسان نبينا محمد -ﷺ- يدعو الناس إلى تعظيم شعائر الله تعالى، وإقامة هذا الركن العظيم من أركان الإسلام؛ قال تعالى: ﴿...وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَى سَبِيلٍ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 97]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: ((خطبنا رسول الله -ﷺ- فقال: (أيها الناس! قد فرض الله عليكم الحج فحجوا)⁽²⁴⁾. وقال -ﷺ-: (بُني الإسلام على خمس) وذكر فيها الحج⁽²⁵⁾.

فدعوى المستشرق ومحاجته في أصل دعوة إبراهيم -عليه السلام- لم تكن دعوى جديدة؛ بل سبقه إليها اليهود والنصارى في زمن النبي -ﷺ-، وقد نزه الله تعالى إبراهيم -عليه السلام- من أن يكون يهودياً أو نصرانياً، وأبطل دعاوهم، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ خَنِيئًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67]، وفي ذلك إثبات تحريف ديانات اليهود والنصارى، وأن الإسلام هو الدين الباقي على أصل الحنيفية السمحة.

إذن فالحج في الإسلام تشريع إلهي، شرعه الله تعالى في ملة محمد -ﷺ- كما شرع الحج في ملة إبراهيم -عليه السلام-، ولم يكن تشريعه في الإسلام تشبهاً بمناسك الحج عند العرب في الجاهلية أو إرضاء لهم؛ كما يدعي المستشرقون -على ما ذكرته عنهم آنفاً-.

ولكن ما أصل حج العرب في الجاهلية؟ وهل كانوا على شيء من إرث إبراهيم -عليه السلام-؟ وهل بقيت مناسك الحج والعمرة في الجاهلية على ما كانت عليه في زمن إبراهيم -عليه السلام-، أم أنهم زادوا فيها وحرّفوها؟

وما موقف الإسلام مما أحدثوه؟ هذا ما نتعرّف عليه في المناقشة التالية:

المطلب الثالث: موقف الإسلام مما أحدثه الجاهليون في مناسك الحج والعمرة:

إنَّ ما كان يتعبد به العرب من تعظيم بيت الله الحرام، وأداء مناسك الحج إنما هو مما بقي من آثار دعوة إبراهيم -عليه السلام-، ولقد ذكر أهل الأخبار أن العرب كانوا على دين إبراهيم -عليه السلام- حتى جاء عمرو بن لحي الذي أدخل عبادة الأصنام في جزيرة العرب.

يقول ابن الكلبي: ((وكان أول من غيّر دين إسماعيل -عليه السلام- فنصّب الأوثان وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وبخر البحيرة، وحى الحامية عمرو بن ربيعة، وهو لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي، وهو أبو خزاعة))⁽²⁶⁾.

ويشير الألوسي إلى أثر عمرو بن لحي في انحراف أهل الجاهلية عن ملة إبراهيم -عليه السلام-، فيقول: ((اعلم أن العرب من عدنان وقحطان، كانوا قبل ظهور عمرو بن لحي الخزاعي فيهم على بصيرة من أمرهم يتعبدون بشريعة خليل الرحمن سيدنا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، وقد تلقوها من ولده نبي الله تعالى إسماعيل -عليه السلام- وهي الحنيفية التي جاء بها محمد -ﷺ-))⁽²⁷⁾.

وقد أخبر النبي -ﷺ- بما أعدّه الله لعمرو بن لحي جزاء ما أحدثه من أمور الجاهلية؛ ففي البخاري بسنده عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: (رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب)⁽²⁸⁾.

ومع ما أحدثه عمرو بن لحي من عبادة الأصنام في جزيرة العرب، ومع ما سار عليه العرب من انحراف عن دين إبراهيم -عليه السلام-؛ إلا أنه لم تختف آثار دعوة إبراهيم -عليه السلام-، فقد بقي بينهم آثار من هذه الدعوة، ومن ذلك: شعائر الحج؛ على ما أحدثوا فيها من تحريف وزيادة، وهذا ما ذكره ابن الكلبي، بقوله: ((وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. ثم سلخ بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم، وانتجثوا ما كان يعبد قوم نوح -عليه السلام- (منها، على إرث ما بقي فيهم من ذكرها، وفيهم -على ذلك بقايا) من عهد إبراهيم وإسماعيل يتنسكونه بها، من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة وإهداء البدن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم ما ليس فيه منه))⁽²⁹⁾.

فالعرب في الجاهلية كانت على ملة إبراهيم -عليه السلام- من توحيد الله تعالى، وتعظيم الأشهر الحرم، وحج بيت الله الحرام؛ ثم تحول بهم الحال إلى أن انصرفوا عن

التوحيد إلى الوثنية، وأضافوا في مناسك الحج وحرّفوا، فجاء الإسلام ليبطل ما حرّفوه ويعيده على ملة إبراهيم -عليه السلام-.

فمما أبطله الإسلام من أعمال الجاهلية: ما أحدثوه من النسيء في أشهر الحج، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 37].

وقد أوقع النبي -ﷺ- حجة الوداع في شهر ذي الحجة، بعد أن أبطل الله سبحانه وتعالى ما أحدثته العرب من النسيء، وقد قال -ﷺ- في خطبة حجة الوداع: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر: الذي بين جمادى وشعبان)⁽³⁰⁾.

ومما أبطله الإسلام ما أحدثته العرب في التلبية من انحراف عن توحيد الله تعالى، وكان من تلبياتهم ما ذكره ابن الكلبي: ((لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هولك، تملكه وما ملك))⁽³¹⁾.

فجاء الإسلام بإبطال ما أضافوه من ألفاظ الإشراك بالله تعالى، فكانت صيغتها ما ورد عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- في صفة تلبية رسول الله -ﷺ- أنه قال: (إن تلبية رسول الله -ﷺ- لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)⁽³²⁾.

فأهّل النبي -ﷺ- في حجته بالتوحيد، وأبطل ما كانت تقوله الجاهلية في تلبيتها من ألفاظ الشرك بالله تعالى.

ومما أبطله الإسلام مما ابتدعه العرب في مناسك الحج: أنهم إذا أحرموا بالحج وأرادوا شيئاً من بيوتهم يتخرجون من دخول بيوتهم من أبوابها، ويتسوّرون البيوت من ظهورها، فأبطل الله فعلهم؛ قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ

تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مِنَ الْأَنْفِ وَاتُّوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَكُمْ اللَّهُ لَمَلِكُمْ
نُفْلِحُونَ ﴿البقرة: 189﴾

وكان بعضهم يتخرجون من التجارة في موسم الحج، فأباحها الله تعالى بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَنَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّاكِلِينَ﴾ [البقرة: 198]

ومما أبطله الإسلام ما ابتدعه الحُمس من قريش، إذ كانوا يأنفون من الوقوف مع عامة الناس في عرفات؛ فأبطل الله عملهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 199]

وقد ثبت من هدي النبي ﷺ - في حجة الوداع مخالفة المشركين في إفاضتهم، فقد كانت إفاضته عليه الصلاة والسلام - بعد غروب الشمس، ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - في وصف حجة النبي ﷺ - قال: (... فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص...) (33).

وكانت العرب تقدر جبل فُزح في مزدلفة؛ فإن الإسلام قد أبطل ذلك الاختصاص والاعتقاد، عندما بين النبي ﷺ - أن جُمع كلها موقف توسعة للناس، كما جاء في حديث علي - قال: وقف رسول الله ﷺ -، وقال: (هذا قزح وهو الموقف، وجُمع كلها موقف) (34).

ومما خالف فيه الإسلام أعمال الجاهلية في مناسك الحج هو إبطال ما كان عليه المشركون في إفاضتهم من مزدلفة إلى منى، إذ كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس؛ فأمر النبي ﷺ - بمخالفتهم، والإفاضة قبل طلوع الشمس تجنباً لمشابهة المشركين في تقديسهم للشمس والسجود لها حين الشروق وحين الغروب؛ ففي البخاري، قال: حدثنا حجاج بن منهل، حدثنا شعبة بن الحجاج، عن أبي إسحاق، سمعت عمرو بن ميمون يقول: ((شهدتُ عمر - رضي الله عنه - صلى بجمع الصبح، ثم وقف فقال: إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس، ويقولون: أشرق ثبير. وإن النبي ﷺ - خالفهم، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس)) (35).

لقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة تبين موقف الإسلام من هدي أهل الجاهلية في ذبائحهم، وما أبطله الإسلام من أفعالهم الوثنية؛ فأبطل الله تعالى ما كانوا يعتقدونه من الذبح لغير الله

وكان من عادة الجاهليين تحري شروق الشمس عند الذبح، وقد نهى الإسلام عن ذلك، يقول جواد علي: ((ويظهر أن الجاهليين كانوا ينحرون قبيل شروق الشمس وعند شروقها، بدليل ما ورد في الحديث من النهي عن ذلك))⁽³⁶⁾.

هذا بعض ما شرعه الله تعالى في مخالفة هدي أهل الجاهلية في ذبائحهم، والقضاء على ما كان سائدا في الجاهلية والعصور السابقة على الإسلام من التقرب بالذبح لغير الله؛ ولم يكن السعي بين الصفا والمروة تفعله جميع العرب في الجاهلية، بل كان ذلك مقتصرًا على قريش وبعض العرب المتأثرين بهم، ولما جاء الإسلام تحرج بعض المسلمين من السعي بين الصفا والمروة لوجود الصنمين إساف ونائلة فيهما؛ فلما جاء الإسلام كُسرت الأصنام، وُرِفِعَ الحرج عن المسلمين، وجُعِلَ الصفا والمروة من شعائر الحج، وفرض السعي بينهما لعموم الحجاج؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 158]

ومما أبطله الإسلام: طوافهم بالبيت عراة. واتخاذهم الموسم ميدانًا للتعاظم والتفاخر. وما كانوا يفعلونه من نضح الكعبة بلحوم قرابينهم ودمائها. وغير ذلك مما أبطله الإسلام مما حاد فيه العرب في الجاهلية عما شرعه إبراهيم -عليه السلام- من مناسك الحج والعمرة.

يَتَبَيَّنُ من المناقشة السابقة أن العرب قد حادت في أفعال كثيرة عن مناسك الحج والعمرة، عَمَّا كان عليه دين إبراهيم -عليه السلام-، وأن الإسلام أبطل ما ابتدعه، وما حَرَفَوه في مناسك الحج والعمرة؛ فكيف يُقال إن الحج والعمرة في الإسلام من أصل وثني، بعد كل ما أبطله من أفعالهم في الحج؟!

وإن مما يبطل ما زعمه المستشرق من تشبه الإسلام بالجاهلية في تعظيم بيت الله الحرام، ومما يكذب دعواه محاولة استرضاء النبي -ﷺ- للعرب، بإقامة شعيرة الحج؛ هو ما

كان عليه العرب من تعدد بيوت العبادة التي يقصدونها لأداء مناسك حجهم، مع عدم إجماعهم على تقديس بيت الله الحرام، واختلافهم في مناسك حجهم.

لقد ذكر أهل الأخبار عدداً من بيوت العبادة كانت تعظمها طوائف من العرب، وتقصدها لأداء الحج، ولم تكن الكعبة المتعبدة الوحيدة لدى العرب: فكانت كعبة نجران. وكعبة سندان؛ إضافة إلى المعابد الأخرى مثل: معبد العزي. وذات أنواط. وذو الشرى. ومن محجاتهم كذلك في الجاهلية بيت الصنم ذو الخلصة؛ وكان يسمى بالكعبة اليمانية تمييزاً له عن بيت الله الحرام، وهي ما تسمى بالكعبة الشمالية⁽³⁷⁾.

وقد ندد الله تعالى بالمشركين لاتخاذهم بيوتاً للعبادة مضاهاة لبيت الله الحرام؛ قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذْ أَسْمَتُ ضَرِيحٍ﴾ [النجم: 19-22]

لقد أبقى الإسلام تعظيم بيت الله الحرام، لأنه شرع الله تعالى، وإرث إبراهيم -عليه السلام- وليس مجارة لكفار قريش، كما يزعم المستشرقون في الموقف السابق.

أما ما زعمه المستشرق "ونسك" من أن الحج فرض نتيجة عدم استجابة اليهود لدعوة النبي -ﷺ- فهذا زعم باطل، وهي دعوى تكرر ورودها لدى عدد من المستشرقين⁽³⁸⁾.

فهل كان النبي -ﷺ- يُعَوِّل على اليهود في نجاح دعوته، كما يُفهم من مزاعم المستشرقين هذه؟ وما موقفهم من دعوة النبي -ﷺ- من بدايتها؟ هل شاركوا الأنصار في بيعه العقبة الأولى أو الثانية؟ وهل كانت هجرة النبي -ﷺ- إلى المدينة بناء على وعود من اليهود بنصرته؟ ثم لما فُقد الأمل في إسلامهم عاد مرة أخرى لتحقيق رغبات الجاهليين من العرب، كما هو مشار إليه في مزاعم المستشرقين السابقة؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات نستشرف موقف اليهود من دعوة النبي -ﷺ- في النقطة التالية.

المطلب الرابع: موقف يهود الجزيرة من دعوة النبي -ﷺ-:

لقد كان موقف اليهود من دعوة الإسلام موقف الرفض والاستكبار والمعارضة للدعوة الإسلامية منذ بدايتها؛ إذ رأوا في الإسلام منافساً جديداً يوشك أن يقضي على نفوذهم، وأن ينتزع عنهم لواء الزعامة الدينية؛ الذي كانوا يتفاخرون به على مشركي العرب.

وحتى قبل أن يهاجر النبي ﷺ - كانوا يؤلبون كفار قريش عليه، ويحاولون تعجيزه بتلقين صناديد قريش الأسئلة والاستفسارات. إن مواقف اليهود المعارضة دعوة النبي ﷺ - لتناقض ما يصوره بعض المستشرقين من دعوى قبول اليهود لدعوة النبي ﷺ - في بدايتها، وهذا أدى بالنبي ﷺ - على حدّ زعم أولئك المستشرقين- إلى أن يسترضيهم ويعقد عليهم الآمال في إنجاح دعوته.

لقد أبدى اليهود إعراضهم واستكبارهم عن دعوة الحق، فلم يستجب أحد منهم لداعي النبي ﷺ - مصعب بن عمير - ﷺ - قبل الهجرة؛ وكأن دعوة الإسلام لا تشملهم، وكانوا يرون أنفسهم أعلى وأرفع من أن يكونوا من ضمن المدعويين.

ثم سلك اليهود طريق المجادلات الدينية مع رسول الله ﷺ -، ليشككوا المسلمين في رسالته-عليه الصلاة والسلام-؛ فسألوه جملة من المعجزات، ويصور الله تعالى حالهم، ويرسم للنبي ﷺ - مسلك الرد عليهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدُا۟ أِِٔنَا۟ اَلَّا نُرْسِلَ رَسُوْلًا حَتّٰى ئٰاْتِيَنَا بِقُرْاٰنٍ مَّكَّةًۭا۟ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّنۢ بَلٰى أِِٔنْتُمْ اِلٰى الَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوْهُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ﴾ [آل عمران: 183]

واشتد جدال اليهود للنبي ﷺ - بعد أن نزل الأمر الإلهي بتحويل القبلة إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة؛ ويندد الله تعالى بمجادلتهم، قال تعالى: ﴿سَيَقُوْلُ اَسْفَهَآءٌ مِّنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنٰهُمْ عَنۢ قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوْا عَلَيْهَا قُلۡ لِّلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِىۡ مَنۢ يَّشَآءُ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾ [البقرة: 142]

ولقد توالى مواقفهم العدائية للإسلام، من استهزاء وسخرية بالنبي ﷺ -، وتشكيك في نبوته، ومحاولة زرع الفتنة والشقاق بين المسلمين، ومن تأمر وموالاتة للمنافقين والكفار ضد دعوة الإسلام، وغير ذلك من المواقف العدائية ضد الدعوة الإسلامية منذ ظهورها.

ويصف الله تعالى شدة عداوة اليهود للمسلمين؛ فيقول جل وعلا: ﴿لَتَجِدَنَّ اَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةًۭ لِّلَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا اِلَٰهُوْهُمُ وَالَّذِيْنَ اٰسَرُّوْا وَلَتَجِدَنَّ اَقْرَبَهُم مَّوَدَّةًۭا۟ لِّلَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا الَّذِيْنَ قَالُوْا اِنَّا نَصْرُكَۙ ذٰلِكَ بِاَنۢ مِّنْهُمْ قَسِيْسِيْنَ وَرُهْبٰنًاۙ وَّآنَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ﴾ [المائدة: 82]

إن تأخر عزم النبي ﷺ - عن أداء فريضة الحج عن بداية هجرته - عليه الصلاة والسلام - لم يكن نتيجة لخيبة أمل النبي ﷺ - في إسلام اليهود؛ كما يزعم المستشرق في الموقف السابق؛ بل إن ذلك بأمر إلهي، فلم يكن - عليه الصلاة والسلام - ليقدّم، أو يؤخر في شرع الله إلا بأمر من الله تعالى.

إذن فالأمر نقيض ما زعمه المستشرقون، فلم يكن تغيير علاقة النبي ﷺ - باليهود في المدينة، وخيبة أمله في إسلامهم، لم يكن ذلك من الأسباب التي مهدت لغزوة الحديبية، ثم فتح مكة، بل إن سلامة المسلمين وأمنهم من غدر اليهود وخيانتهم بعد إجلائهم من المدينة من الأسباب التي مهدت لهذا الفتح العظيم.

ومن الأسباب والحكم الإلهية لتأخر حجة النبي ﷺ - إلى السنة العاشرة إيقاع الحج في شهر ذي الحجة، وذلك بعد أن تلاعب العرب بموعد الحج بالنسيء الذي أحدثوه في شهور السنة، وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ - في خطبة حجة الوداع، عندما قال: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثني عشر شهراً...)⁽³⁹⁾.

فكان لا يمكن أن يتم الحج إذا لم يأمن المسلمون على أنفسهم وعلى أموالهم؛ فلما انتشر الإسلام، وأمن المسلمون على أنفسهم وأموالهم، وبعد أن تحققت بقدره الله تعالى الأسباب الميسرة لأداء الحج، أذن الله لنبيه ﷺ - أن يحجّ بالمسلمين حجة الوداع، ومن تلك الأسباب:

- ما تحقق للمسلمين من أمنٍ من غدر اليهود بعد إجلائهم.
- وما تحقق للمسلمين من أمن من مكربائل العرب بعد دخول معظمهم في دين الله أفواجاً.

- وبعد أن وافق الحج شهر ذي الحجة.
- وبعد أن تطهر الحج مما أحدثه المشركون فيه بعد أن أعلن علي بن أبي طالب أمر النبي ﷺ - في زمن حجة أبي بكر ﷺ - بأن لا يحج من العام المقبل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

إذن فبعد أن تهيأت كل هذه الأسباب أذن الله لنبيه محمد ﷺ - أن يحجّ بالمسلمين حجة الوداع ليبلغهم في هذه الحجة آخر ما أوصاه الله به.

لقد تبين من المناقشة السابقة خطأ ما زعمه المستشرقون من دعوى الأصل الوثني للحج والعمرة، وما تخيلوه من أسباب مغلوطة لمشروعية الحج في الإسلام؛ إذ تبين أن الحج فُرضَ في الإسلام امتداداً لدعوة إبراهيم-عليه السلام-، ولم يكن من أصل وثني، كما يزعمون.

المطلب الخامس: موقف المستشرقين من الطواف بالبيت :

امتداداً لمزاعم المستشرقين في ادّعاء الأصل الوثني لمناسك الحج في الإسلام، يدّعي المستشرق "بول" FR. BUHL، في مقاله عن الطواف، أن هذه العبادة ذات أصل وثني، وأن تقديس البيت، والطواف به، لوجود الحجر الأسود، الذي لا يعد إلا صنماً من الأصنام التي كانت في فناء الكعبة، وينفي الأصل الإسلامي لهذه الشعيرة، إذ يقول:

((وفي مكة كان يطاف حول الكعبة التي فيها الحجر الأسود وكان مقدساً من زمن قديم جداً، وقد أخذ محمد بهذه العادة القديمة لما وضع شعائره دينه وجعل الكعبة مدار هذه الشعائر))⁽⁴⁰⁾

ويضيف، زاعماً: ((نستطيع أن نستنتج من ممارسة المسلمين [لهذه الشعيرة] ما كانت عليه عادة الوثنيين القديمة))⁽⁴¹⁾

المناقشة:

لم يكن المستشرق "بول" FR. BUHL وحيداً في هذا المضمار، فلقد تعدد القائلون بهذه المزاعم من المستشرقين، ذلك للمكانة العظيمة التي يمثلها بيت الله الحرام في نفوس المسلمين، ولشدة تعلق أفئدتهم به، وحبهم ولعهم بهذه البقعة المباركة التي رفع الله مكانتها، والتي شرفهم الله بها؛ لقد كانت هذه المكانة لبيت الله الحرام في نفوس المسلمين من الأسباب التي أثارت ضغينة عدد من المستشرقين، ودفعتهم إلى الطعن في الإسلام والتشكيك في أصالة هذا التشريع الإلهي.

إن مما انتهجه عدد من المستشرقين في دراستهم للإسلام البحث عن منابع قوة هذا الدين والمواطن التي تتوحد فيها كلمة المسلمين، لتصوب سهامهم نحوها، فكان بيت الله الحرام والكعبة التي تهوي إليها أفئدة المسلمين، والطواف بهذا البيت من أكثر المواطن

والعبادات التي وجه إليها مجموعة من المستشرقين شبهاتهم وطعونهم، لمحاولة تشكيك المسلمين في ربانية هذا التشريع، وفي أصل بيت الله الحرام.

وأعرض مناقشة الموقف الاستشراقي في النقاط الآتي:

أولاً: أصل تقديس بيت الله الحرام:

إن تعظيم بيت الله الحرام وتقديسه ومكانة هذا البيت لم تكن وليدة العصر الجاهلي، كما يزعم المستشرق "بول" FR. BUHL؛ إن تقديس هذا البيت وحرمة بدأت منذ خلق الله السماوات والأرض، فعن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: (إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة).⁽⁴²⁾

والله تعالى هو الذي عَظّم بلده الحرام، وجعل له هذه الحرمة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 91].

والله هو الذي اختار مكة لبيته العتيق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: 26].

وقد حرّم إبراهيم-عليه السلام- مكة ودعا لها وجدد حرمتها بأمر الله تعالى، ففي البخاري عن عبد الله بن زيد بن عاصم -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: (إن إبراهيم حرم مكة، ودعا لها، وحرّم المدينة كما حرّم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة)⁽⁴³⁾.

وقد ذكر الأزرقى مجموعة من الأخبار حول أول من بنى الكعبة، هل كانت الملائكة، أم آدم -عليه السلام-⁽⁴⁴⁾؛ وسواء كانت الملائكة، أم آدم -عليه السلام-؛ فإن الذي لا خلاف فيه أن البناء كان بأمر الله تعالى، وأن الله حرّم بيته منذ خلق السماوات والأرض، وأما بناء إبراهيم وإسماعيل-عليهما السلام- للكعبة وما عهد الله إليهما من تطهير هذا البيت من عبادة الأوثان، ودعوته لهذا البيت وأهله، فهو ثابت بنصوص الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: 125].

وقد استجاب الله دعوة إبراهيم -عليه السلام-، فجعل هذا البلد آمناً، وأمن فيه الخائف، ورزق أهله من الثمرات تجبى إليهم من كل مكان، وتوافدت إليه الأمم من كل مكان تحج بيت الله الحرام وتعظمه، بل إن الأزرقى يُرجع تعظيم بيت الله الحرام وحج البيت إلى ما قبل زمن إبراهيم -عليه السلام-؛ فيقول: ((وكان الناس يحجون إلى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لإبراهيم عليه السلام لما أراد من عمارة بيته وإظهار دينه وشرائعه، فلم يزل منذ أهبط الله آدم عليه السلام إلى الأرض معظماً محرماً بيته تتناسخه الأمم والملل أمة بعد أمة وملة بعد ملة))⁽⁴⁵⁾.

وعلى ذلك مضت سنة العرب من عهد إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- إلى أن بعث الله محمداً ﷺ - مع ما أحدثته العرب من عبادة الأصنام وجعلها بجوار الكعبة، وانحرافهم عن التوحيد إلى الإشراك بالله تعالى. ومع ذلك؛ فإن تقديسهم لبيت الله الحرام كان امتداداً لمنزلة هذا البيت منذ أن بناه إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- بأمر الله عز وجل، ويقولون بذلك ويتفاخرون به، ويذكر ابن الكلبي انحرافهم عن التوحيد إلى عبادة الأصنام، مع نسبتهم قداسة بيت الله الحرام إلى إبراهيم -عليه السلام-؛ فيقول: ((وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان، والحجارة، أنه كان لا يظعن بمكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم (وصبابة بمكة) فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمناً منهم بها، وصبابة بالحرم، وحبا له. وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتصرون على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام))⁽⁴⁶⁾.

إذن فتعظيم الإسلام لبيت الله الحرام لم يكن مشابهة لفعل الوثنيين، كما يزعم المستشرق، وإنما كان ذلك لتعظيم الله لبيته الحرام، واستجابة لدعوة إبراهيم -عليه السلام- بتعظيم البيت؛ وحتى ما كان لدى العرب من تقديس بيت الله الحرام، إنما كان بقية مما تبقى لديهم من دين إبراهيم -عليه السلام-.

ثانياً: مكانة بيت الله الحرام في الإسلام:

ومع ما أشرت إليه من تقديس العرب لبيت الله الحرام، وأن ذلك بقي فيهم من إرث إبراهيم -عليه السلام- إضافةً إلى ما أحدثوا في بيت الله الحرام من عبادة الأصنام؛ فإن بيت الله لم يبلغ من الرفعة والمكانة ما بلغه في الإسلام، فلقد خلد الله قدسية الكعبة، ورفع من

منزلتها، وطهرها من عبادة الأصنام والأوثان التي أحدثها الجاهليون؛ فكان أول عمل قام به النبي -ﷺ- في فتح مكة أن حطم الأصنام التي بجوار الكعبة، ومضى الصور التي بداخلها، وقضى على كل أشكال الشرك بالله تعالى، ففي البخاري عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: دخل النبي -ﷺ- مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصب، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يُعيد)⁽⁴⁷⁾.

ولم يكن تعظيم المسلمين لبيت الله الحرام تقليدا لتقديس العرب لها، ولو كان امتدادا لعبادة العرب وتقديسهم للبيت لما وقف النبي -ﷺ- هذا الموقف من أصنامهم؛ إن مكانة بيت الله الحرام وحرمة في الإسلام ربانية المصدر وتلبية لدعوة إبراهيم-عليه السلام- بتطهير حرم الله من عبادة الأصنام، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَوَلِيَّيَ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35]. فأرسل الله نبيه محمداً -ﷺ- مجدداً لدعوة خليل الله إبراهيم-عليه السلام-، ومنزها بيت الله الحرام عن عبادة الأصنام؛ ولم يزد بيت الله الحرام في الإسلام إلا تعظيما وتشريفا أعظم مما كان عليه؛ فالحسنات فيه مضاعفة، والسيئات فيه كبيرة.

ولما فتح الله مكة لنبينا محمد -ﷺ- قال مبينا حرمتها: (إن هذا البلد حرام لا يعصدي شوكه، ولا يختلى خلاه، ولا يُنفر صيده، ولا يُلتقط لقطته إلا لمعرف)⁽⁴⁸⁾.

إن ادعاء المستشرق أن مكانة بيت الله الحرام في الإسلام جاءت اتباعا لتعظيم العرب هذا البيت من الدعاوى الباطلة التي تناقض ما ثبت من نصوص الكتاب والسنة من منزلة عظيمة لبيت الله الحرام في الإسلام، وما شرعه الإسلام من تطهير بيت الله من صنوف وألوان الشرك بالله تعالى الذي أحدثته العرب في جاهليتها.

ثالثاً: موقف الإسلام من طواف العرب في الجاهلية:

عَقَدَ المستشرق مقارنة بين طواف المسلمين بالكعبة، وطواف العرب في الجاهلية، مدعياً تأثر المسلمين بالوثنيين في هذه الشعيرة. فكيف كان طواف العرب في الجاهلية؟ وما موقف الإسلام منه؟ وما أصل تشريع الطواف شعيرة من شعائر الحج في الإسلام؟ هذا ما نتعرف عليه في هذه المناقشة:

لقد تعددت بيوت العبادة التي كان العرب يطوفون بها، فلم تكن الكعبة هي المكان الوحيد للطواف عندهم، وقد ذكر الإخباريون أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون حول الرجمات، وهي حجارة تجمع فتكون على شبه بيت مرتفع كالمنارة، ويقال لها الرجمة، وكانوا يطوفون حول الأصنام والأنصاب، وحول الذبائح التي يقرّبونها لأصنامهم، وحول القبور، وغيرها من الأماكن المقدسة في نظرهم التي يطوفون بها⁽⁴⁹⁾.

فلم تكن الكعبة هي المكان المقدس الوحيد عند العرب الذي يطوفون به في الجاهلية، بينما لم يشرع الإسلام إلا الطواف حول الكعبة، تعظيماً لبيت الله الحرام، لا تقديساً للأصنام والقبور التي كان يفعلها الجاهليون.

ومما أحدثه العرب في طوافهم حول الكعبة أن (الجلّة)، وهم سائر العرب دون قريش الذين يسمون (الحُمس) كانوا إذا طافوا بالبيت لأول مرة، لا يطوفون بثيابهم التي لديهم، إنما يستأجرون أو يستعيرون من قريش ثياباً يطوفون بها، ومن لم يجد منهم من يُعيره طاف بالبيت عرياناً، يقول الأزرقي: ((وكانت الحلة تطوف بالبيت أول ما يطوف الرجل والمرأة في أول حجة يحجها عراة))⁽⁵⁰⁾.

وفي صحيح مسلم بسنده عن هشام، عن أبيه، قال: ((كانت العرب تطوف بالبيت عراة. إلا الحُمس. والحُمس قريش وما ولدت. كانوا يطوفون عراة. إلا أن تعطيهم الحمس ثياباً. فيُعطي الرجال الرجال، والنساء النساء...))⁽⁵¹⁾.

فلما جاء الإسلام أبطل هذه العادة الوثنية، ونهى عن طواف العري، وأمر الله تعالى باتخاذ الزينة، وستر العورة، قال تعالى: ﴿يَبْنَیْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31].

ولم يكن طوافهم بالبيت ذكراً لله تعالى، ودعاءً وتضرعاً، وإخلاصاً في العبادة لله تعالى، كما شرع الله تعالى لعباده المسلمين، بل كانوا يبدؤون طوافهم بالاستلام والسجود للأصنام التي بجوار الكعبة، ويختمون طوافهم بذلك، وقد ندّد الله تعالى بأفعال الجاهلية التي كانوا

يمارسونها في طوافهم من تصفير وتصفيق؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: 35].

وإن مما يُسن للمسلم فعله بعد الطواف صلاة ركعتين خلف المقام، يقرأ فيهما بسورتي الكافرون والإخلاص لما تتضمنه هاتان السورتان من البراءة من الشرك وأهله وإخلاص التوحيد لله تعالى.

إن كل ما شرعه الإسلام هو من إعلاء ذكر الله تعالى أثناء الطواف، بدءاً بالتكبير عند الركن في بدء الطواف، وما شُرع من الدعاء وتوحيد الله تعالى في الطواف، وما أبطله الإسلام من أفعال الجاهلية في طوافهم. وكل هذا يناقض ما زعمه المستشرق من أن طواف المسلمين شُرع اقتداء بطواف الوثنيين.

رابعاً: أصل تقديس الحجر الأسود في الجاهلية والإسلام:

يدعي المستشرق "بول" أن تعظيم المسلمين لبית الله الحرام إنما هو لوجود الحجر الأسود في الكعبة، والذي يعتبره عدد من المستشرقين صنماً من الأصنام التي نصبها قريش في الكعبة وبجوارها⁽⁵²⁾، فما أصل تقديس العرب للحجر الأسود؟ وهل يعدونه صنماً من الأصنام المنصوبة بجوار الكعبة؟ وما الحكمة من استلام المسلمين وتقبيلهم للحجر الأسود؟ فمن خلال الإجابة عن هذه التساؤلات سنتعرف على موقف الإسلام من تعظيم الكعبة، ومن مشروعية الطواف بها.

إن القول بأن العرب كانت تعظم الكعبة، وتقديس الحجر الأسود، قول صحيح ولاشك فيه، والذي يشهد لذلك اختصاصهم فيمن يحمل الحجر أثناء إعادة بناء الكعبة⁽⁵³⁾، ولكن ما سبب هذا التقديس والتعظيم؟

ولم يكن من أديانهم الحلف بالكعبة، ولم تتخذ الكعبة والحجر الأسود آلهة يقسمون بها في أديانهم، فلم يرد أنهم كانوا يقولون: (والكعبة، أو والحجر الأسود) إنما كان من أديانهم ورب البيت ورب الحجر الأسود.

ولو كانت الكعبة والحجر الأسود من الأصنام التي تعبدتها العرب قبل الإسلام لما تغافل عن ذكرها مؤلفو تاريخ العرب، ولوجدنا لها ذكرا في المؤلفات الخاصة بذكر أصنام الجاهليين.

إذن أصل تقديس العرب في العصر الجاهلي للكعبة والحجر الأسود ناشئ عن بناء إبراهيم-عليه السلام- لها، ولدعوته الناس إلى تعظيمها، ولم يكن تقديسهم لها باعتبارها ربا ومعبودا كفعلهم بأصنامهم.

أما سبب تعظيم المسلمين للحجر الأسود، طاعة لله الذي أمرنا باتباع هدي نبينا محمد-ﷺ- وامتثال لأمر النبي-ﷺ- عندما قال: (لتأخذوا عني مناسككم)⁽⁵⁴⁾، واستنابن بهدي نبينا محمد-ﷺ- عندما قبل الحجر واستلمه وبين عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- هذه الحقيقة وهو يقبل الحجر الأسود؛ فيقول كما في البخاري بسنده عن عمر-رضي الله عنه-: ((أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إني أعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولو لا أني رأيت رسول الله-ﷺ- يقبلك ما قبلتك))⁽⁵⁵⁾.

وفي فعل عمر-رضي الله عنه- وقوله الحجة القاطعة على من شكك في الحكمة من تقبيل الحجر الأسود: يقول ابن حجر نقلاً عن الطبري في سبب مقالة عمر-رضي الله عنه-: ((قال الطبري: إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر أن يظن الجاهل أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله-ﷺ- لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقد في الأوثان))⁽⁵⁶⁾.

ولو كان الحجر الأسود صنما كما يزعم بعض المستشرقين لما أبقاه الإسلام، وهو الذي جاء لمحاربة الوثنية وإعلاء كلمة التوحيد، كما فعل النبي-ﷺ- من تحطيم الأصنام التي كانت بجوار الكعبة في فتح مكة؛ ومما تجدر الإشارة إليه أن المسلم يكبر الله تعالى ويوحده ويعلم أن استلام الحجر أو تقبيله شعار المسلمين في محاربة الوثنية بجميع أشكالها، فمما ورد من هدي النبي-ﷺ- في صحيح البخاري بسنده عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: ((طاف النبي-ﷺ- بالبيت على بعير، كلما أتى الركن أشار إليه بشيء كان عنده وكبر))⁽⁵⁷⁾.

ولو كان الحجر الأسود صنماً من الأصنام كما يزعمون ما رفعه النبي ﷺ - عندما اختصمت قريش فيمن يعيده مكانه أثناء إعادة بناء الكعبة، وهو الذي عصمه الله من عبادة الأصنام، والتبرك بها قبل النبوة وبعدها.

إن الكعبة بيت الله الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، وقد أمر الله تعالى إبراهيم-عليه السلام- ببناء البيت وتطهيره للعاكفين الركع السجود من أدران الشرك والوثنية، وجاءت رسالة محمد-ﷺ- بتجديد هذه الدعوة الحنيفية، وتَعْظِيم بيت الله الحرام امتثالاً لأمر الله تعالى، واقتداءً بسنة خليل الرحمن إبراهيم-عليه السلام-، وقد أمر الله بعبادته وحده، بعبادة رب هذا البيت لا البيت نفسه، كما يزعم بعض المستشرقين، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: 3].

إن شبهات المستشرق "بول" وأمثاله من المستشرقين المشككة في ربانية مصدر التشريع الإلهي بالطواف حول بيت الله الحرام وحول سبب تعظيم الكعبة، واستلام الحجر الأسود، أو تقبيله، لتهاوى أمام نصوص الكتاب والسنة الدالة على ربانية هذا التشريع الإلهي، وعلى حفظ هذا التشريع من أدران الشرك وبقايا الوثنية.

الخاتمة

ظهر من خلال البحث تميز الإسلام في تشريعاته، وعباداته عن سائر الأديان، ومن ذلك حفظ شعيرة الحج من التغيير والتبديل وذلك ثمره حفظ الله لكتابه، وما ترتب على ذلك من حفظ سنته وتشريعاته من التغيير والتبديل.

ظهر اهتمام المستشرقين بشعيرة الحج فيما كتبوه ومن خلال رحلاتهم إلى مكة والمدينة المنورة .

أظهر عدد من المستشرقين إعجابهم بمناسك الحج وماتؤول إليه من وحدة المسلمين واجتماعهم.

تجاهل عدد من المستشرقين ماخالف فيه الشريعة الإسلامية العرب في مناسكهم وعباداتهم .

تبين إن ما كان لدى العرب في الجاهلية من مناسك لها صلة من قريب أو بعيد بالإسلام، فإن مرده إلى ما بقي فيهم من دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وظهر ذلك من خلال منسك الحج على ما أحدثوه من الحيدة عن التوحيد وعن دعوة إبراهيم عليه السلام.

ومن الأخطاء المنهجية التي وقع فيها المستشرقون في دراستهم للإسلام، تجاهل المصادر الإسلامية الأصلية، والاعتماد على كتب الأدب والرحلات، والمصادر المشبوهة.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) ابن الكلبي، هشام بن محمد، الأصنام، تحقيق محمد عبد القادر وأحمد محمد عبيد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- (2) ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1417هـ-1997م.
- (3) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، سيرة النبي ﷺ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- (4) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ط8، 1416هـ-1996م.
- (5) الألوسي، السيد محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصحيح: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (6) إميل درمنغم"، حياة محمد، ترجمة: عادل زعير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، عام 1988م.
- (7) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، مطبوع مع فتح الباري، تحقيق ومراجعة: الشيخ عبد العزيز بن باز، الأجزاء الثلاثة الأولى، دار الفكر بيروت، ط1، 1414هـ-1990م.
- (8) بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، كانون الثاني (يناير) 1989م.
- (9) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط11، 1988م.
- (10) جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة بغداد، ط3، 1980م.
- (11) جولد تسهر، اجناتس، العقيدة والشرعية في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى، وعلي حسن عبد القادر، وعبد العزيز عبد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ومكتبة المثنى، بغداد، ط2.

- (12) جون لويس بوركهارت، "رحلات في شبه جزيرة العرب، ترجمة: عبد العزيزين صالح الهلابي، وعبد الرحمن بن عبد الله الشيخ، بيروت، مؤسسة الرسالة 1413هـ-1992م،
- (13) حتي، فيليب، العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1991م. 493 ح
- (14) حتي، فيليب، وأدوارد جورج، وجبرائيل جيور، تاريخ العرب (مُطَوَّل)، دار الكشف، ط4، 1965م.
- (15) خوان غويتسولو، "في الاستشراق الإسباني، ترجمة: كاظم جهاد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1987
- (16) درمنغم، إميل، حياة محمد، ترجمة: عادل زعيتر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1988م.
- (17) روم لاندو، الإسلام والعرب، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت.
- (18) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، 1417هـ-1997م،
- (19) العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط4 .
- (20) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.
- (21) القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ.
- (22) ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1345هـ-1927م.
- 23) FIRST ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM. LEIDEN: E.J. BRILL, 1987.
- 24) THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM (NEW EDITION). LEIDEN: E.J. BRILL, LONDON: LUZAC & CO., 1960- 1995

الهوامش:

- (1) "زيتسن"، ألماني الجنسية، جاء إلى مصر عام 1807م، فأقام بها طوال عامين، وتنتقل بين مصر، والحجاز، واليمن، والشام، وفلسطين، وحصل على مجموعة من المخطوطات؛ وله آثار منها: أشعار في سوريا وفلسطين وبلاد ما وراء الأردن وبلاد العرب، توفي في اليمن سنة 1811م. ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، كانون الثاني (يناير) 1989م. ص226.
- (2) ينظر: "بيتر برينت"، بلاد العرب القاصية رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب، ترجمة: خالد أسعد عيسى، وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ -1990م، ص107.

- (3) "جون لويس بوركهارت" (1784-1817م) سويسري الأصل، حصل على الجنسية البريطانية، قضى حياته سائحاً بين سوريا ولبنان وفلسطين؛ من آثاره: كتاب الرحلة إلى بلاد الشام، وكتاب رحلة إلى الجزيرة العربية، والرحلات النوبية، توفي في مصر عام 1232هـ. ينظر: العقيلي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط4، 52/2.
- (4) ينظر: بيتر برينت، "بلاد العرب القاصية رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب، دار قتيبة، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م، 108-116.
- (5) "جون لويس بوركهارت"، رحلات في شبه جزيرة العرب، ترجمة: عبد العزيز بن صالح الهلابي، وعبد الرحمن بن عبد الله الشيخ، بيروت، مؤسسة الرسالة 1413هـ - 1992م، ص10؛ نقلاً عن علي بن إبراهيم النملة، رحلات المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، نصف سنوية محكمة، المجلد الأول، العدد الأول، محرم - جمادى الآخرة، يونيو - ديسمبر 1995م ص56.
- (6) "دومينغو باديا"، كان مسؤولاً عن مصلحة التبغ في قرطبة، تعلم العربية، زار طرابلس الغرب، وقبرص ومصر وفلسطين وسوريا وتركيا؛ ثم عاد إلى بلاده لخدم في ديوان "جوزيف بونابرت"، ولقد خطط لرحلة أخرى إلى شبه الجزيرة العربية، ولكنه توفي في بدايتها في عام 1818م.
- ينظر: "خوان غويسولو"، في الاستشراق الإسباني، ترجمة: كاظم جهاد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1987 ص98.
- (7) ينظر: بلاد العرب القاصية، مرجع سابق، ص99-101، في الاستشراق الإسباني، مرجع سابق، 97-113.
- (8) بدأ دراسته اللغة العربية في "أكسفورد"، ثم التحق بالجيش البريطاني في الهند، زار القاهرة والسويس، ومجاهل أفريقيا الشرقية والحبشة، من إسهاماته: ثلاثة كتب عن الهند، وترجمة ألف ليلة وليلة. ينظر: العقيلي، المستشرقون، مرجع سابق، 59/2-60.
- (9) ينظر: عدنان محمد عبد العزيز وزان، صورة الإسلام في الأدب الإنجليزي، دار إشبيلية، الرياض، الطبعة الأولى، عام 1419هـ - 1998م، 59/2.
- (10) ولد في "استرهوت" بهولندا عام 1807م، وتعلم في "لين" على "دخوبه"، وفي "استراسبورج" على "تولدكه"، ثم رحل إلى جاوه وأقام بها سبع عشرة سنة في خدمة الاستعمار الهولندي، من مؤلفاته: كتابه عن مدينة مكة في جزأين، وكتاب عن أهل "أتيه"، ومجموعة بحوث عن الإسلام، توفي في لين عام 1936م.
- ينظر: العقيلي، المستشرقون 315/2-316، وعبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، 245-247.
- (11) ينظر: العقيلي، المرجع السابق، 315/2-316، وعبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، 245-247.
- (12) العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1991م، ص58، 60، وينظر كذلك: تاريخ العرب (مطول) للمستشرق نفسه، الطبعة الرابعة، 1965م، 186/1.
- (13) محمد في المدينة، ترجمة: شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ص470.

(14) روم لاندو R. LANDAN، مستشرق إنجليزي، اهتم بالبحث والنقد الفني، عمل أستاذاً للدراسات الإسلامية في عدد من الجامعات الأمريكية؛ من مؤلفاته: بحث عن الغد، والإسلام اليوم، وسلطان المغرب، وفرنسا والعرب.

ينظر: العقيلي، المستشرقون، مرجع سابق، 556/2.

(15) الإسلام والعرب، روم لاندو، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت. مرجع سابق، ص49.

(16) هاملتون جب GIBB, SIR HAMILTON، مستشرق إنجليزي، من مواليد الاسكندرية عام 1895م، عُين عضواً في عدد من مجامع اللغة العربية، عمل أستاذاً للغة العربية في جامعة لندن، وأكسفورد، وهارفارد، ومديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط، زار عدداً من البلاد العربية، من مؤلفاته: ما هو الإسلام، والعرب، والآثار الإسلامية، والاتجاهات الحديثة في الإسلام، والمجتمع الإسلامي والغرب، والتفكير الديني في الإسلام، ودراسات في الحضارة الإسلامية.

ينظر: العقيلي، المستشرقون، مرجع سابق، 553-551/2.

(17) وجهة الإسلام نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، المطبعة الإسلامية، القاهرة، ص229.

(18) THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM (NEW EDITION). LEIDEN: E.J. BRILL, LONDON: LUZAC & CO., 1960- 1995 VOL. III, P. 33

وحول دعوى الأصل الوثني للحج، ينظر -على سبيل المثال-: "هنري ماسيه"، الإسلام، مرجع سابق، ص117؛ و"إميل درمنغم"، حياة محمد، ترجمة: عادل زعيتر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، عام 1988م ص367؛ و"أجناتس جولد زيهر"، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص24؛ و"روم لاندو"، الإسلام والعرب، ص38؛ و"مونتغمري وات"، محمد في المدينة، ص468؛ و"فيليب حتي"، تاريخ العرب (مطول)، 185/1، ودائرة العلوم الاجتماعية، ص205، ودائرة معارف الدين والأخلاق، 875/8.

(19) م. غ. ديمومبين DEMOMBYNES, M. G (1862-1957م)، مستشرق فرنسي، أقام في الجزائر في بداية حياته لتعلم العربية؛ ثم عاد إلى باريس، والتحق بمدرسة اللغات الشرقية، حاضر في كلية الآداب بباريس، وتقل في عدة وظائف إدارية في الجامعات الفرنسية؛ من مؤلفاته: النظم الإسلامية، مراسم الزواج عند الجزائريين، العالم الإسلامي حتى الحملات الصليبية، نحو العربية الفصحى، محمد؛ وترجم بعض الدراسات التاريخية، ودرس فريضة الحج إلى مكة، منطلقاً من دعوى الأصل الوثني لهذه العبادة. ينظر: عبدالرحمن بدوي، مرجع سابق، 181-182؛ ومحمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 254-246.

(20) E.I., E.J. BRILL, LEIDEN, NEW EDITION, VOL.III, P.33

(21) IBID, VOL. III, P.33

(22) "مونقمري وات" W.MONTGOMERY WATT، مستشرق بريطاني معاصر، تركزت اهتماماته الأساسية في مجال السيرة النبوية، عمل عميداً لقسم الدراسات العربية في جامعة "أدنبرا"، من مؤلفاته التالية: الجبر والاختيار في الإسلام، محمد في مكة، محمد في المدينة، محمد نبياً ورجل دولة، عوامل انتشار الإسلام، الوحي الإسلامي في العالم الحديث، الفكرة التكوينية للفكر الإسلامي، وله العديد من الدراسات والبحوث في الدوريات الإسلامية والاستشراقية. ينظر: العقيلي، المستشرقون، مرجع سابق، 132/2؛ وعبدالله محمد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، ص9.

(23) E.I., E.J. BRILL, LEIDEN, NEW EDITION, VOL.III, P.539

- (24) صحيح مسلم، (15) كتاب الحج، (73) باب فرض الحج مرة في العمر، حديث رقم 1337، 975/2.
- (25) البخاري، مع الفتح، (2) كتاب الإيمان، (2) باب ((دعواكم إيمانكم))، 72/1.
- (26) كتاب الأصنام، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، وأحمد محمد عبيد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص24.
- (27) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، مصدر سابق، 194/2.
- (28) صحيح البخاري، مع الفتح، (61) كتاب المناقب، (9) باب قصة خزاعة، حديث رقم 3521، 237/7.
- (29) المصدر نفسه، ص22-23.
- (30) البخاري، مع الفتح، (65) كتاب التفسير، (8) باب قوله تعالى: {إن عدة الشهور عند الله...} الآية، حديث رقم 4662، 220/9.
- (31) الكلبي، كتاب الأصنام، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، وأحمد محمد عبيد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص23.
- (32) البخاري، مع الفتح، (25) كتاب الحج، (26) باب التلبية، حديث رقم 1549، 191/4.
- (33) صحيح مسلم، (15) كتاب الحج، (19) باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم 1218، 890/2.
- (34) سنن أبي داود (5) كتاب المناسك، باب الصلاة بجمع، حديث رقم 1935، 597/1، وقال الألباني: "حسن صحيح"، ينظر: صحيح سنن أبي داود، 544/1.
- (35) البخاري، مع الفتح، (25) كتاب الحج، باب متى يُدفع من جمع، حديث رقم 1684، 347-348/4.
- (36) أجواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة بغداد، ط3، 1980م، 388/6.
- (37) ينظر: ابن الكلبي، الأصنام، مصدر سابق، ص99، وابن هشام، السيرة النبوية، 77/2، وجواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 445-447/6.
- (38) ينظر على سبيل المثال: "يوليوس فلهاوزن"، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريذة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بإشراف إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم، القاهرة، الطبعة الثانية 1968م، ص18؛ و"مونقمري وات"، محمد في المدينة، ص444، 446.

(39) صحيح مسلم (28) كتاب القسامة، (9) باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث رقم 1697، 1305/3.

(40) E.I., E.J. BRILL, LEIDEN, FIRST EDITION, VOL.VIII, P.702

(41) LOC. CIT, VOL.VIII, P.702

(42) صحيح مسلم، (15) كتاب الحج، (82) باب تحريم مكة وصيدها وشجرها ولقظتها، إلا لمنشد، على الدوام، حديث رقم 1353، 986/2.

(43) البخاري مع الفتح، (34) كتاب البيوع، (53) باب بركة صاع النبي -ﷺ- ومده، حديث رقم 2129، 79/5.

(44) ينظر: أخبار مكة، مصدر سابق، 43-31/1.

(45) أخبار مكة، المرجع نفسه، 53/1.

(46) كتاب الأصنام، مصدر سابق، ص22.

(47) البخاري، مع الفتح، (64) كتاب المغازي، (49) باب أين ركز النبي -ﷺ- الراية يوم الفتح؟ حديث رقم 4287، 329/8.

(48) البخاري، مع الفتح، (25) كتاب الحج، (43) باب فضل الحرم، حديث رقم 1587، 243/4.

(49) ينظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مرجع سابق، 354/6.

(50) أخبار مكة 181-182.

(51) صحيح مسلم، (15) كتاب الحج، (21) باب في الوقوف وقوله تعالى: {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} رقم 152، 894/2.

(52) ينظر: "كارل بروكلمان"، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص76، و"فلها وزن"، تاريخ الدولة العربية، ص18، ودائرة معارف العلوم الاجتماعية، 205-206، ودائرة معارف الدين والأخلاق، 875/8.

(53) ينظر: ابن هشام، سيرة النبي -ﷺ-، مصدر سابق، 214/1.

(54) صحيح مسلم، (15) كتاب الحج، (5) باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً...، حديث رقم 1297، 943/2.

(55) البخاري، مع الفتح، كتاب الحج، (50) باب ما ذكر في الحجر الأسود، حديث رقم 1597، 259/4.

(56) المصدر نفسه، 260/4.

(57) البخاري، مع الفتح، (25) كتاب الحج، (62) باب التكبير عند الركن، حديث رقم 1613، 278/4.